(٧) خطبة له ﷺ
فى وصف الدارين

عن شداد بن أوس أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم خطب يوماً، فقال :

«ألاَ إنَّ الدُّنيا عَرَضٌ حَاضِرٌ ، يأكلُ منها البَرُّ والفَاجِرُ، ألاَ وإنَّ الآخرةَ أجَلٌ صَادِقٌ، يَقْضِى فِيها مَلِكٌ قادِرٌ ، ألاَ وإنَّ الخيرَ كلَّه بحذافيرِه فى الجَنَّةِ، ألاَ وإنَّ الشَّرَّ كلَّه بحذافيرِه فى النَّارِ . ألاَ فاعْمَلوا وأنتُم مِنَ اللهِ على حَذَرٍ ، واعْلَموا أنَّكم مَعروضُون علَى أعْمَالِكم ..

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾(١) . . » .

(أخرجه البيهقى ، وأخرجه الطبرانى فى الكبير عن شداد بن أوس ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، يقول :

«أيُّها النَّاسُ.. إنَّ الدُّنيا عَرَضٌ (٢) **حَاضِرٌ، يأكلُ منها البَرُّ والفَاجِرُ ، وإنَّ الآخِرةَ وَعْدٌ صَادِقٌ يَحكُم فِيها مَلِكٌ قَادِرٌ ، يحقُّ الحقَّ ويبطلُ البَاطِلَ . أيُّها الناسُ .. كُونوا أبناءَ الآخِرةِ ولا تكونوا أبناءَ الدُّنيا ،**

---

(١) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .

(٢) قال فى «مختار الصحاح» : عرض الدنيا ما كان من مال قل أو كثر .

فإنَّ كلَّ أمٍّ يتبعُها ولدُها». قال الهيثمى: وفيه أبو مهدى سعيد بن سنان، وهو ضعيف جداً).

فى هذه الخطبة أراد النبى ﷺ أن يوقفنا - كما أشار فى الخطبة السابقة - على حقيقة الدنيا، وهى أنها عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وهذا معناه: أن الدنيا لا قيمة لها، ولا وزن لها عند الله تبارك وتعالى، وكما جاء فى نص حديث شريف:

« لو كانتِ الدُّنيا تَعْدِلُ عندَ اللهِ جَنَاحَ بعوضةٍ .. ما سَقَى كافراً مِنْهَا شَرْبَةَ ماءٍ »(١).

ومن أجملِ ما قرأت فى هذا قول أحدهم:

عَتَبْتُ عَلَى الدُّنْيَا لِرِفعَةِ جَاهِلٍ ... وخَفْضِ لِذِى عِلْمٍ فَقَالَتْ:خُذِ العُذْرَا
بَنُو الجَهْلِ أبْنَائِى لِهَذَا رَفَعْتُهُمْ ... وَأهْلُ التُّقَى أبْنَاءُ ضُرَّتِى الأُخْرَى
أأتْرُكُ أبنَائِى يَمُوتُونَ ضِيْعَةً ... وأُرْضِعُ أبْنَاءَ لِضُرَّتِى الأُخْرَى

وإذا كان النبى ﷺ يشير إلى هذا، فإنه يريد أن يلفت أنظارنا، بل وقلوبنا إلى ضرورة أن نعمل للآخرة، مع العمل للدنيا، فقد ورد فى الحديث:

« خيرُكم مَنْ لَمْ يَنرُكْ آخرتَه لدُنياه، ولا دنياهُ لآخرته، ولم يكنْ كَلاً على الناسِ ».. مع الحرص المستمر على الاستفادة بكل

---

(١) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

لحظة فى هذه الحياة الأولى : فى عمل الخير الذى به نكون من أهل الجنة ، لا من أهل النار . فإن الخير كله بحذافيره فى الجنة ، وإن الشر كله بحذافيره فى النار .

كما يحذِّر النبى ﷺ من عقاب الله تعالى ، كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾(١) فهو سبحانه : ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾(٢) .

فلنتعظ بكل هذا ، حتى نكون دائماً وأبداً على أتمِّ استعداد للقاء الله تبارك وتعالى ، وذلك هو الخير العظيم .

* * *

(١) سورة آل عمران : ٣٠ .

(٢) سورة غافر : ٢ .